مقام صعصعة بن صوحان في البحرين

بين التخريب المتعمد والتجاهل العلني



يونيو
2023

Salam
For Democracy and Human Rights

المقدمة

قـد يضيع التاريـخ المكتوب، يُمحى، أو يُكتـب عوضاً عنه بتاريخ آخر يحرّف مساره أو يغيّره. أما الثوابت التاريخية فـلا تُلغـي تاريخ، أصالـة وهوية شـعبٍ، الا اذا ما وقعت ضمـن منهجية التعـدّي، التهميش والتخريـب. وغالباً ما يعترض التراث الثقافي لسياسـات منهجية تدميرية تحمل في خلفياتهـا أبعـاداً سياسـية تلغـي الآخـر في تاريخـه وثقافتـه. فالإيمـان بحقوق الشـعوب الثقافيـة والدينية، وضـع مسـألة حماية التـراث الثقافي في صلـب الاهتمام الأممي وأولى التزامات الدول في اتخاذ ما يلزم من تدابير قانونية، تقنية، إدارية ومالية لصون هذا التراث، إصلاحه ونقله الى الأجيال المقبلة.

في البحريـن تاريخ مـن التجاهل العلني وتغييب حقيقة ما يتعرض له مقام صعصعة بن صوحان من تخريب مستمر، تعـدّي متواصـل، واهمال متعمد من الجهات الرسـمية المعنيّـة. هـذا المقـام المنسـوب الـى الصحابـي الجليـل صعصعـة بن صوحان العبـدي من صحابة الإمام علي بن أبـي طالب والمتوفى سـنة ٧٠ هجري، يُعتبـر أقدم الآثار الإسلامية إطلاقاً في البحرين[١]، وأهم المساجد التاريخية التي يزيد عمرها عن ألف وثلاثمائة سنة، في قرية عسكر جنوبـيّ العاصمـة المنامة. فالتعـدّي المتواصـل والتدمير المتزايـد لأحـد أقـدم المقامـات، في أبعـاده التاريخيـة، الحضاريـة، والدينية، هو إصرار على محو تراث وأصالة الشيعة البحرينيين تحت أعين السلطات المعنية.

١ https://www.bbc.com/arabic/trending-65636840

الإطار القانوني

تبنّى المجتمع الدولي في المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، المنعقد في باريس في دورته السابعة عشرة عام ١٩٧٢، اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، والتي نصت في موادها الرابعة والخامسة على التزام الدول الأطراف بتعيين التراث، حمايته، واتخاذ التدابير القانونية والإدارية والتقنية الفعالة للمحافظة عليه، إصلاحه، ونقله الى الأجيال المقبلة [٢]. فهذا التعهد يضع على عاتق الدولة بالدرجة الأولى بألا تتخذ متعمدة أي إجراء من شأنه الحاق الضرر بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالتراث الثقافي، مهما كان تابعاً لأي شعب.

إنَ مملكة البحرين هي طرف بإتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي بموجب المرسوم رقم٣ لسنة ١٩٩١، مما يلزمها بأن تتخذ تدابير وتصدر قوانين تتماشى مع موادها. فالمادة السادسة من دستور البحرين نصت صراحة على تعهد المملكة بأن تصون التراث العربي و الإسلامي، وتسهم في ركب الحضارة الإنسانية، وتعمل على تقوية الروابط بين البلاد الإسلامية، وتحقيق آمال الأمة العربية في الوحدة والتقدم [٣].

المقامات الدينية والمساجد المقدسة التي تحمل بعداً تاريخياً وثقافياً هي جزء أساسي من التراث الذي أقرت مملكة البحرين بأهميته في تنمية الحضارة وتقوية آمال الوحدة، وجزء جوهري من الحرية الدينية التي تبنّاها العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية. المادة الثامنة عشرة منه تصون حق الفرد في اعتناق، اختيار وإظهار دينه في العبادة، وتحديداً ممارسة وإقامة الشعائر دون أي قيود. فالقيود التي تُفرض على حرية الإنسان في إظهار دينه أو معتقده، لا تأتي في سياقها الصحيح إذا لم يكن لها أسباب موجبة وضرورية تبرّرها.

والدستور البحريني في مادته الثانية والعشرين أقر بأن حرية الضمير مطلقة، وتكفل الدولة حرمة دور العبادة، وحرية القيام بالشعائر الدينية والمواكب والاجتماعات الدينية طبقًا للعادات المرعية في البلد.

٢ https://whc.unesco.org/archive/convention-arb.pdf

٣ https://faolex.fao.org/docs/pdf/bah117079Ar.pdf

الإنتهاكات التي يتعرض لها مقام صعصعة بن صوحان

إن حقيقة ما تشهده مملكة البحرين من سياسات هي مغايرة للإتفاقيات، والتوصيات، والقرارات القائمة المتعلقة بالممتلكات الثقافية من جهة والحرية الدينية التي وافقت عليها البحرين وأقرت بها في دستورها وقوانينها، من جهة أخرى. فالتعدّي المتواصل على قدسية مقام صعصعة بن صوحان ، واهمال الجهات الرسمية المعنيّة للتخريب المستمر الذي يتعرض له المقام، يعتبر انتهاك للحريات الدينية التي حُرمت منها الطائفة الجعفرية، وأن إغلاق هذا المقام يحول دون حق مؤمني الشيعة في إظهار دينهم، ممارسة وإقامة الشعائر الدينية.

فلم يأتي الإهتمام بمقام صعصعة بن صوحان وليدة الأمس، إنما يعود الى العام ٢٠٠٣ مع تعرّض المقام لأول مرّة للتخريب المتعمد[٤] الذي لم يتوقف وحتى يومنا إطلاقاً، ولتجاهل الجهات الرسمية يومها وما أسسته من جرأة في التعدّي على الآثار الإسلامية والمقدّسات الشيعية.

في العام ٢٠٠٧ عاد الإعتداء على المسجد مرةً أخرى، وتمظهر بحسب ما أفاده مدير الأوقاف الجعفرية عون الخنيزي، باقتلاع الأبواب، إلقاء الحجارة وكسر ٥ نوافذ من جهة المقام الشمالية.

اتخذت سلسلة الاعتداءات بعد احتجاجات ٢٠١١، وتيرة أخرى من إهانة المقدسات الدينية والاستخفاف بالتراث الشيعي، مع الكتابات المسيئة والغير الأخلاقيّة التي كُتبت في المقام، ورمي القمامة والحجارة في غرفه وتحويله إلى خربة مهجورة وسرقة محتوياته. وقد أتت هذه الأعمال التخريبية ضمن منهجية التعدي على المساجد التابعة للطائفة الشيعية والتي طالت سابقاً أكثر من ٣٨ مسجداً بالهدم الكامل وعشرات المساجد بالتخريب والعبث بمقدراتها.

وسُجلت في مارس/آذار ٢٠١٢ حالة إعتداء جديدة [٥] آثمة على مقام صعصعة بن صوحان تركت بصماتها داخل المقام وخارجه.

٤ هاني الفردان، مقام صعصعة والحقائق الناصعة، الوسط العدد ٥٠٧٧، ٣١ يوليو ٢٠١٦
http://www.alwasatnews.com/news/1143609.html

٥ بيان صادر عن مركز البحرين للحوار والتسامح Bahrain Interfatih، الشيخ السلمان: على الحكومة تحمّل مسؤوليتها في حماية التراث الثقافي بعد تكرار عمليات تخريب مسجد ومقام صعصعة بن صوحان، ١٠ فبراير ٢٠٢٠
https://bahraininterfaith.org/?p=2685&lang=ar

إن التجاهـل العلنـي الواضـح والإهمال الرسـمي المتعمد بمسـألة حماية المقـام المقدس والأثري، تمظهر في عدم توفير حراسـة أمنية دائمة، للحؤول دون التكرار المستمر لحوادث العبث والتخريب التي يتعرض لها هذا المقام [٦]، وتقاعس الجهات الحكومية عن تحديد هوية المتهمـين الذين دائماً مـا يوضعون في بياناتها تحت خانة «المجهولـين» المتعارف عليها وفق السياسـة الرسـمية المحلية. أعلن المجلس الأعلى للشؤون الإسـلامية (هيئة حكومية) على لسـان رئيسـه آنذاك عبدالله بن خالد آل خليفة، تبنّيه لمشروع إعادة بناء مقام صعصعة بن صوحـان، إلا أن تلـك الوعـود لم يُكتـب لها أن ترى النـور حتى اليوم مـع تواصل عمليات الإعتداء على هذا المقام الإسـلامي التاريخي. ليس التكفيريّون وحدهم من يمنعون المصلين من أداء فرائض الصلاة وإحياء شعائر الله، فها هي الجهات البحرينية من وزارة الداخلية، وزارة العدل والشؤون الإسلامية، وهيئة البحرين للثقافة والآثار بتماديها في إتخاذ اجراءات تمهيدية وخطوات عملية بإتجاه حماية وصون مقام صعصعة بن صوحان، تبقي أبواب هذا المقام حتى كتابة هذه الأسطر، ورغم وعودها، مغلقاً أمام مؤمني الشيعة.

عام ٢٠١٤، سُـجل اعتداء هو الخامس من نوعـه [٧]، جعل مقدرات المقام ومحتوياته عرضة لأيـادي العبث والتخريب التي طالت السـاحة الأثريّة لقبر الصحابـي الجليل. كما وأنه في العام ٢٠١٦ تجددت الاعمال التخريبية التي طالت مرافق ومحتويات المقام كافة، بدءاً من الغرفـة الرئيسـية التـي تحوي المقام، وصولاً لسـقف الموقع والمصليـين الخاصين بالرجال والنسـاء [٨]. فقـد عانـى هذا المقام من الإهمـال المتعمد الذي ترافق بمحاولات مسـتمرة لتغييب حقيقة الإعتداءات التخريبية التي سُجل آخرها في تموز/ يوليو عام٢٠٢١ [٩].

٦ خبر نشر على موقع اللؤلؤة، هذه حال مقام الصحابي الجليل صعصعة بن صوحان في بلد يدّعي التسامح، ١٩ يناير ٢٠٢٣
https://lualu-atv.net/%D9%87%D8%B0%D9%87-%D8%AD%D8%A7%D9%84-%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AD%D8%A7%D8%A8%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%84%D9%8A%D9%84-%D8%B5%D8%B9%D8%B5%D8%B9%D8%A9-%D8%A8%D9%86-%D8%B5%D9%88/

٧ خبر نشر على الموقع التخصصي لدراسات الفكر الوهابي والتيارات السلفية، اعتداء جديد على مزار الصحابي "صعصعة بن صوحان" ومطالبة بوقف هدم مسجد العسكريين بالبحرين، ٢٤ نيسان ٢٠١٤.

٨ خبر نشر على المنار، البحرين: تخريب مقام الصحابي صعصعة بن صوحان مجدداً، ٢٨ يوليو ٢٠١٦.
https://almanar.com.lb/519374

٩ خبر صادر عن الهدى للثقافة والاعلام، مرتزقة السلطة في البحرين يعبثون بمقام الصحابي الجليل صعصعة بن صوحان، ١٩ يوليو ٢٠٢١
https://al-hodaonline.com/article/25943/

الخاتمة والتوصيات:

إن أقدم الآثار الإسلامية في البحرين، التي تمثل صرحاً له بعداً دينياً وتاريخياً للمملكة، حمل في تاريخه سلسلة مستمرة من التخريب، التهديم، التعدّي، و التهميش، عجزت فيها النداءات المتكررة والتقارير الإعلامية حول المسجد عن تغيير واقع الحال ودفع الجهات المعنية إلى تحمّل مسؤوليتها في الحفاظ على مقدسات المسلمين الشيعة، وحماية التراث الثقافي الديني. الجهات الرسمية لم تتخذ حتى اليوم الإجراءات التي تحول دون تكرار الاعتداء والتخريب على هذا المقام الأثري، مما يشكل استمرارية للتوجّهات الحكوميّة التي تنطوي على التمييز، خاصةً فيما يتعلق بالحقوق الدينية.

منظمة سلام للديمقراطية وحقوق الإنسان تحث السلطات البحرينية على:

- إعادة فتح مقام صعصعة بن صوحان وتنفيذ التزاماتها بإعادة بنائه وإصلاحه.
- اتخاذ التدابير القانونية والإجراءات الإدارية والعملية لحماية هذا المقام الأثري والمحافظة على محتوياته.
- إجراء تحقيقات فعالة للكشف بشكل رسمي عن الجهات المسؤولة عن التخريب والتهديم والسرقة.
- الالتزام بالاتفاقيات الدولية والقوانين المحلية التي تكفل الحرية الدينية وحق العبادة وإقامة الشعائر.

SALAM For Democracy and Human Rights
info@salam-dhr.org
www.salam-dhr.org

SalamDHR_AR
SALAM_DHR
Salam_DHR_FR

SalamDHR1961

SALAMDHR1

SALAM DHRS